وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

المستوى: الثانية ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

التصوف عند الإباضية
بين القبول والرفض

مادة: التيارات الصوفية

إعداد الطالب (ة):

- عبد الفتّاح عمّي سعيد.
- ماجدة سونة.

أستاذ المادّة:

د. عبد الجليل ملاّخ

الموسم الجامعي:

1441-1442هـ/2020-2021م

خطة البحث

مقدمة

مدخل:

الفصل الثاني: مدلول التصوف عند علماء الإباضية

المبحث الأول: مدلول التصوّف عند أبي العباس الفرسطائي

المبحث الثاني: مدلول التصوّف عند أبي حفص عمرو بن جميع

المبحث الثالث: مدلول التصوّف عند أبي طاهر إسماعيل الجيطالي

الفصل الأول: مراحل التصوف عند الإباضية

المبحث الأول: مرحلة الرفض التحفظ

المبحث الثاني: مرحلة الاحتكاك والمحاكاة

المبحث الثالث: تجليات التصوف عند الإباضية

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

يعتبر المذهب الإباضي من أوائل المذاهب التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثاني الهجري، والتي وجدت مناخا ملائما لها فيه على عكس المشرق، وبما أنّ المذهب الإباضي مذهب فقهي معتدل عن بقية المذاهب الخارجية فقد برزت فيه مظاهر الزهد والتعبد لله ما جعله ينتشر في بلاد المغرب خاصة المغرب الأوسط انتشارا واسعا الى أن كوّن له كيان سياسي خاص، ومع بداية انتشار التصوف كعلم في الغرب الإسلامي كان لابد أن يكون للمذهب الإباضي احتكاك أو اصطدام بهذا المنهج أو العلم الخاص والذي هو علم التصوف وأن تكون له ردّة فعل منه سواءا قبول تام أو رفض تام أو رأي بين الرأيين. ولدراسة هذا الموضوع عنونا بحثنا هذا بـ" **التصوف عند الإباضية بين القبول والرفض**".

الإطار المكاني للدراسة: بلاد المغرب خاصة المغرب الأوسط.

أسباب اختيار الموضوع:

- معرفة موقف الاباضية من التصوف.
- رأي علماء الاباضية في التصوف.
- تجليات التصوف لدى الاباضية.

ولدراسة هذا الموضوع طرحت الاشكالية الآتية:

كيف كان موقف الاباضية من التصوف؟ تندرج تحتها إشكاليات فرعية:

- ما رأي علماء الإباضية في التصوف؟
- ماهي مراحل التصوف عن الإباضية؟
- فيما تجسد التصوف في أفعال الإباضية؟

ولحل هذه الاشكالية اتبعت **الخطة الآتية:**

بدأنا البحث **بمقدمة** ثم **مدخل** تطرقنا فيه الى مفهوم التصوف والتعريف بالإباضية والإباضية في المغرب ثم فصلين **الفصل الأول عن مدلول التصوف عند علماء الإباضية** من ثلاث مباحث **المبحث الأول حول** أبو العباس الفرسطائي ومدلوله للتصوف أيضا **و الثاني** أبو حفص عمرو بن جميع **والثالث عن** إسماعيل الجيطالي **والفصل الثاني** عن **مراحل التصوف عند الإباضية** من ثلاث مباحث **المبحث الأول** مرحلة الرفض التحفظ **والمبحث الثاني** مرحلة الاحتكاك والمحاكاة **والمبحث الثالث** عن تجليات التصوف عند الإباضية.

ومن الدراسات السابقة للموضوع :

- يحي الأطرش: **ملامح التصوف الإباضي المغاربي** تأثير " إحياء علوم الدين" على " قناطر الخيرات" لإسماعيل الجيطالي، دار التنوير، ط1، الجزائر، 2017. وهو المرجع الوحيد الذي خصص للتصوف الإباضي مؤلفا تحدث عن مراحله وعن تجلياته عند الإباضية ومواقف العلماء منه.

وفي دراستنا اتبعنا **منهج:** وصفي من خلال وصف الظواهر وتحليلها.

ومن صعوبات البحث: قلّة المصادر والمراجع المختصة في هذا الموضوع.

مدخل:

أولا: مفهوم التصوف:

يقول ابن خلدون: " هذا علم من العلوم الشرعيّة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين من بعدهم، طريقة الحق و الهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع الى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ".[1]

أي أنّ التصوف كعمل كان موجود مع الإسلام وعند عزوف الناس عن التقرب لله والانشغال بالدنيا أطلق عليه بالتصوف في القرن الثاني هجري.

أطلق لفظ التصوف أول مرة على **جابر بن حيّان** صاحب الكيمياء **وأبي هاشم الكوفي المتصوف** المشهور في القرن 2ه ثمّ كجماعة عام 199ه على جماعة في فتنة الاسكندرية .[2]

يذكر **إحسان إلهي ظهير** عن أصل التصوف:

أن الأصل صفوي فاستثقل ذلك فقيل صوفي وهو مأخوذ من الصفاء.

سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها.

وقيل سُمُّوا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه.

وقيل سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا في عهد الرسول.

وقيل سمو صوفية للباسهم الصوف.[3]

[1] ابن خلدون نقلا عن عبد الله حسين: **التصوف والمتصوفة**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، 2017، ص16.

[2] ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: **التصوف**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1984م، ص26-27.

[3] إحسان إلهي ظهير: **التصوف المنشأ والمصادر**، ترجمان السنة، باكستان، 1986م، ص20.

ثانيا: مفهوم الإباضية نشأتها ومبادئها

يُعرّف الإباضيةُ مذهبهم أنّه "مذهب إسلاميّ أصيل، تصدّر المذاهب الإسلامية في نشأته، وكان ذلك على يد الإمام التابعي **جابر بن زيد**، ولطنّه يُنسَب إلى **عبد الله بن إباض** ... (ت: 86هـ/705م) نسبة غير قياسية، وإنّما بسبب ما اشتهر به ابن إباض من مراسلات سياسية دينية، مع الخليفة عبد الملك بن مروان، ونقده لأسلوب الحكم الأُموي، الذي ابتعد عن نهج الخلفاء الراشدين"[1] **وجابر بن زيد** هو الذي أقام دعائمه، ومن أعلم تلامذته **أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي**[2]، و يذكر **الدرجيني** في طبقات المشايخ بالمغرب عن جابر بن زيد أنّه " بحر العلوم العجاج وسراج التقوى، ناهيك به من سراج وهو أصل المذهب وأسّه الذي قام عليه من العرق".[3]

وبعد هزيمة المحكّمة في معركة **نهروان** بقيت الفئة المعتدلة في البصرة بقيادة **أبي بلال مرداس بن أذيّة التميمي**[4]

فالإباضية جماعة تمتاز بالاعتدال في نظرتها الى مخاليفها حيث أنهم لا يحكمون بتفكيرهم بل أنهم يعتبرون الزواج والميراث من غيرهم من المسلمين حلالا وهم لا يستبيحون قتل غير الخوارج إلاّ في حالة إعلان حرب عكس الأزارقة حيث تبرّأ عبد الله بن اباض المري التميمي من المتطرفين من الخوارج بموقفه اتجاه أهل التوحيد، ومخالفته **لنافع بن الأزرق** في تفكيره، وكان مركز الاباضية بالبصرة وهناك أنشأ أبو عبيدة مدرسة لنشر الدعوة وكان يبعث "حملة العلم" الى مختلف البلدان خصوصا اليمن ، حضر موت، عمان، خرسان والمغرب.[5]

---

1 إبراهيم بحّاز وآخرون: **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2008م، ج1، ص3.

2 أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر،1979-1399، ص3.

3 أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، 1974، ج1، ص205.

4 سعد رستم: **الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات النشأة التاريخ العقيدة التوزع الجغرافي**، الأوائل، سوريا، 2004، ص204.

5 أبو زكريا المصدر السابق، ص ص3-4.

الاباضية يعتبرون جابر بن زيد امام مذهبهم وشيخه وتلميذه وخليفته في الكتمان أبا عبيدة مسلم ابن أبي كريمة[1]

ثانيا: مبادئ الاباضية (الأصول)

يقوم المذهب الإباضي على تسع أصول عقدية[2]، وهي:

1- التوحيد: وهو "إفراد الربّ سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم".[3]
2- صفات الله تعالى: وهي عين ذاته تعالى.[4]
3- الإيمان: و"هو جميع ما أمر الله به عباده، وتعبّدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فكلّ ذلك إيمان بالله، ودين له، وإسلام وكلّه إيمان، وبعضه إيمان، ما كان من ذلك توحيدا لله، وما كان منه غير توحيد، فمن استكمل ذلك سميّ مؤمنا".[5]
4- نفي رؤية الله عزّ وجل في الدنيا والآخرة.[6]
5- القدر: وذلك أن يؤمن المؤمن أن القدر خيره وشرّه من الله تعالى.[7]
6- العدل والوعد والوعيد: أي أنّ الله تعالى صادق في وعده بالجنّة ووعيده بالنار.[8]
7- الشفاعة: أنّها لا تنال أهل النّار ليخرجوا منها، وإنّما تكون للأصحاب الجنّة لترفعهم درجات فوق درجاتهم.[9]
8- خلق القرآن الكريم: أي أنّه ليس بقديم أزلّي، وإنما محدث، بمعنى أنه لم يكن ثمّ كان.[1]

---

[1] إبراهيم بكير بحاز: **الدولة الرستمية 160-296هـ/777م-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، الجزائر،1985، ص75.

[2] للتوسّع في هذه الأصول ينظر: بكير أوعوشت: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، مكتبة وهبة، ط3، مصر، 1988م.

[3] أبو طاهر إسماعيل الجيطالي نقلا عن بكير أوعوشت، مرجع سابق، ص39.

[4] نفسه، ص46.

[5] أبو عمّار عبد الكافي الوارجلاني نقلا عن بكير أوعوشت، مرجع سابق، ص50.

[6] نفسه، ص54.

[7] نفسه، ص59.

[8] نفسه، ص70.

[9] نفسه، ص76.

9- لا منزلة بين المنزلتين: أي أنّ الناس كلّهم إمّا موحّدون وإما مشركون، ومرتكب الكبيرة يعدّ من الموحّدين.[2]

الاباضية في بلاد المغرب

أولا: سلمة بن سعد (أو سعيد)

ضفرت بلاد المغرب باهتمام كبير من حيث ميدانها الخصب لنشر المذهب الإباضي فبعث **أبو عبيدة** داعيته **سلمة بن سعد** في بداية القرن الثاني هجري لنشر الدعوة الإباضية في المغرب، وكان حماس سلمة شديد في نشر المذهب، وتجمع المصادر على أنه "كان يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في أخره".[3]

يذكر **الدرجيني** في طبقات المشايخ أنه" حدث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جدّه عبد الرحمن بن رستم أنه قال : أول ما جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية سلامة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو الى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو لمذهب الصُّفرية".[4]

ثانيا: أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الخباواني:

حل محل سلمة بن سعيد الذي تتلمذ على يد أبا عبيدة بالبصرة واشتهر " بالشكيمة وقوة العريكة" وانتشر في عهده المذهب الإباضي في نفوسة ومنها أصبحت **نفوسة** "دار للهجرة للمذهب الإباضي في بلاد المغرب" وهي سبب في انتشاره في القبائل الأخرى مثل: **هوارة، لماية، زناتة، سدراته، زواغة ولواتة**، أما **مطماطة** فلم تعتنق المذهب إلاّ في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومن هنا كسب سلمة بن سعيد وابن مغيطر أنصارا ولذلك تم اختيار ممثلين عن الجهات التي انتشر فيها المذهب كحماة علم فاختير:

---

1 بكير أوعوشت، مرجع سابق، ص71 وما بعدها.

2 نفسه، ص93.

3 محمود اسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، ط2، 1986م، ص54.

4 الدرجيني مصدر سابق، 11/1.

- **عاصم السدراتي** من غرب الأوراس.
- **أبو داود القبلي النفزاوي** من نفزاوة جنوب إفريقية.
- **إسماعيل بن درار الغدامسي** من غدامس جنوب طرابلس.
- **عبد الرحمن بن رستم** من القيروان.
- وانظم إليهم **أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري**[1]

وتوجهوا للبصرة يتلقون العلم لمدة خمس سنوات على يد أبي عبيدة مسلم ويتعلمون أصول الحكم وفنونه وانشغلوا بالإفتاء والتدريس كما درسوا شؤون السياسة.[2]

ثالثا: عمر بن يمكتن النفوسي

عمر بن يمكتن هو بربري أيضا ينسب أيضا الى نفوسة وكان نشاطه تعليمي أيضا وقد كان من أوائل من تعلموا القرآن وعلموه بجبل نفوسة لذا يعد من الدعاة للمذهب الإباضي في بلاد المغرب وهو أول من أبرز أهمية الثقافة والعلم بني لأول مرة مدرسة لتعليم أبناء البلاد القرآن وأصول المذهب في منطقة جبل نفوسة بقرية ايفاطمن وكان من أشهر المدرسين الذين حفظوا القرآن وذلك باستقباله القادمين بمغمداس حيث كان يتلقى السابلة والمارة من المشرق ليكتبه ويرجع لحفظه فإذا حفظه رجع للطريق لتلقي المزيد حتى حفظ القرآن وعّلمه وقد كلف بقيادة جيش الطائفة بعهد أبي الخطّاب .[3]واستقر المذهب الصفري في قبائل المغرب الأقصى أمّا الإباضي في الأقاليم الشرقية.[4]

---

[1] **أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري** اليمني أحد حملة العلم الاباضية الى المغرب تتلمذ على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مدة خمس سنوات. ابراهيم بكير بحاز، مرجع سابق، ص 65.

[2] محمود اسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق. ص54-55.

[3] موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص167.

[4] نفسه، ص 47.

الفصل الأول: مدلول التصوف عند علماء الإباضية

ذكر الأستاذ يحيى الأطرش أنّ من الإباضية من يستعمل مصطلحي السِّير والسلوك للدلالة على التصوّف، وسنحاول في هذا الفصل أنّ نوضّح المفهوم بغضّ النظر عن المصطلح، وذلك من خلال نصوص لثلاثة أعلام من الإباضية: أبو العباس أحمد الفرسطائي (504هـ)، أبو طاهر إسماعيل الجيطالي (750هـ)، قطب الأيمة الشيخ اطفيّش (1332هـ/1914م).

المبحث الأول: مدلول التصوف عند أبي العباس الفرسطائي

أبو العباس الفرسطائي:

هو أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي المكنى **"أبو العباس"** عالم من علماء ورجلان أصله من فرسطاء بنفوسة وهو ابن مؤسس حلقة العزابة أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي صنف 25 كتابا وتعتبر كتبه كلها من الأمهات في الشريعة الإسلامية على المذهب الإباضي من تآليفه: القسمة وأصول الأراضين، السيرة في الدماء والجراحات، الجامع المعروف ب "أبي مسألة" و تبيين افعال العباد وغيرها من المؤلفات توفي عام504هـ قبره بنواحي بآجلو الغربية.[1]

له كتاب تبيين أفعال العباد وتحدث فيه عن أفعال العباد وبيان مصدرها وتبيين الذنوب ومصدرها ثم الرياء والتّزيين والتظاهر بالزهد " ونهى عن التزيين بترك التزيين، ومعنى ذلك: أن يظهر ترك التزيين عن الناس ليقولوا: إنّه زاهد، وكذلك إن زهد في الدنيا ليقول النّاس: إنّه زاهد فيها وإنّه عابد كما لا يجوز له أن يحب أن يقال: إنه صائم وليس بصائم، أو مصل وليس بمصل، أو زاهد وليس بزاهد.

يعرف أن الإباضية مذهب معتدل وتتجلى صفات الزهد فيه العزابة[2] فهنا يوضح العالم توجسه أو رأيه المتحفظ من التصوف أو على الأقل التصوف السلبي أو الزهد الشكلي.

---

[1] إبراهيم بكير بحاز وآخرون: **معجم أعلام الإباضية** من القرن الأول هجري الى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي، مر: محمد صالح ناصر، دار الغرب الاسلامي، ط2، ج2، الجزائر، 2000م، ص ص48-49.

[2] العزابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب، ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم مصطلحات الإباضية، ص702.

المبحث الثاني: القطب امحمد اطفيش

قطب الأئمة الشيخ اطفيش:

هو امحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن اسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي اطفيش ، واشتهر بلقب "**القطب**" أشهر عالم إباضي في العصور الحديثة من عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن عشيرة آل بامحمد ينتهي نسبه للعائلة الحفصية الحاكمة بتونس، وقد أنهى نسبه في بعض كتبه إلى الخليفة أبي حفص عمر بن الخطّاب، ولد بغرداية وعاش طفولته بها نشأ عصاميا لم يلجأ للدراسة للخارج وأهم ما اشتهر به جمع الخزائن وشراء الكتب، أنشأ معهدًا للتدريس ببني يسجن وتخرج منه كبار العلماء عند الإباضية منهم **الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، والشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان** رائد الصحافة العربية في الجزائر، ومن ليبيا **الشيخ القاضي سليمان باشا الباروني** مؤسس أوّل جمهورية في الوطن العربي (الجمهورية الطرابلسية)، ومن تونس **سعيد بن تعاريت** ومن المدينة المنورة **الشيخ أحمد الرفاعي** وغيرهم كثير، له آثار كثيرة في فنون عديدة، منها: شرح النيل وشفاء العليل للشيخ ضياء الدين الثميني في عدّة مجلّدات، ثلاث تفاسير: تسيير التفسير وداعي العمل ليوم الأمل وهميان الزّاد إلى دار المعاد ، ترتيب الترتيب (وهو ترتيب ثانٍ لمسند الإمام الربيع بعد ترتيب الشيخ الوارجلاني)، شرح نونيّة المديح، إزالة الاعتراض في محقي آل إباض وغيرها، توفي 1914م.[1]

" فمن ادعى محبة الله تعالى وخالف كتابه أو سنّة الواجبة، فهو كاذب. وليس من حب الطّرب، والصفق باليد عند ذكره، أو اهتزاز الرّأس، أو الرقص، والحق ما قاله الجنيد، أن التصوف اتباع ما عليه السنة، وحقيق بالعبد أن يحب الله بأن لا يخالفه، وبأن يعظمه ويكره سخطه ولذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة، وذلك أن كل موجب من حسن وكمال في نفس الانسان أو غيره فهو من الله".[2]

وقد نقل القطب عدّة تعريفات للتصوّف في خاتمة المجلّد العاشر من شرحه **للنيل وشفاء العليل لضياء الدين الثميني**، بدأها كلّها بـ"قيل" إلّا التعريف الأوّل: "والتصوّف هو مأخوذ من الصفاء ففيه

[1] إبراهيم بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام ..، مرجع سابق، ص ص403،401،399.

[2] يحي الأطرش: **ملامح التصوف الإباضي المغاربي تأثير " إحياء علوم الدين" على " قناطر الخيرات" لإسماعيل الجيطالي**، دار التنوير، الجزائر، ص2017، ص44.

القلب المكاني إذ قدّمت الواو على الفاء لأنّ أصله الصفوة وهو مصفّ للقلب"[1]، وإيراده لهذا التعريف قبل التعريفات الأخرى وتمييزه بعدم إسباقه بلفظة "قيل" يجعلنا نرجّح أنّ هذا هو التعريف المعتمد للتصوّف عند القطب رحمه الله.

المبحث الثالث: أبو طاهر إسماعيل الجيطالي

اسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ):

عالم إباضي ولد بجبل نفوسة ونشأ بجيطال حافظ عالم، سافر الى اطرابلس أذاعه أميرها الى السجن بسبب جرأته في قول الحق وبعد خروجه من السجن من طرف والي قابس ابن مكي ذهب الى جزيرة جربة فاستقبله أهلها بحفاوة واجتمع حوله الطلبة وأصبح يدرس هناك الفقه والآداب والشعر لقب بفيلسوف الإسلام تشبيها له بأبي حامد الغزالي ومن مصنفاته قناطر الخيرات في ثلاثة أجزاء وهي موسوعة فقهية وأخلاقية

الجزء الأول "قنطرتي العلم والإيمان حققه الدكتور عمرو خليفة النامي طبع مرتين

2- "كتاب الحساب وقسم الفرائض"

3- شرح نونية أبي نصر في أصول الدين " ثلاثة أجزاء.

4- " الحج والمناسك"

5- " قواعد الإسلام" حققه الدكتور بكلي عبد الرحمن"

6-" عقيدة الشيخ إسماعيل"

7- " تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان "

وله كتب أخرى مثل "فتاوى الأيمة". توفي في جربة ودفن في المقبرة المجاورة للجامع الكبير .[2]

---

[1] امحمد بن يوسف اطفيّش: **شرح النيل وشفاء العليل**، المطبعة السلفية ومكتباتها، مصر، 1916م، ج10، ص505.

[2] إبراهيم بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام ...، مرجع سابق، ص ص 56-57.

الظاهر أنّ التصوّف عند أبي طاهر الجيطالي يتجلّى في الأعمال القلبية الباطنية، فقد أدرك أهمية صفاء الباطن وأفرد بعض الأبواب في **قناطر الخيرات** لا هي من العقيدة ولا من الفقه، وإنما هي من التصوّف، فصنّف الباب الثالث من قنطرة الصلاة **للشروط الباطنة من أعمال القلب في الصلاة** وتحدّث فيه عن الخشوع وحضور القلب، والمعاني التي بها تتمّ **حياة الصلاة** وغيرها، وفي **قنطرة الصوم** أفرد بابًا لأسرار الصوم وشروطه الباطنة.

وقد فعل هذا أيضا الشيخ **أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي** (ت: 471هـ) في سِيَره، رغم أنه لم يورد لفظ التصوّف إلّا أنه حثّ النّاس (في أبواب عديدة) على التوبة والإقلاع عن الذنوب وعزلة النّاس إن هم فسدوا واختيار الصاحب الصالح والتحذير من فتنة الدنيا وغيرها.[1]

الفصل الثاني: مراحل التصوف عند الإباضية

مرحلة الرفض والتحفظ:

تبرز فيما ذكره العلامة **محمد بن محبوب الرّحيل** (ت: 260هـ) من أوائل من تحدث عن الصوفية بقوله" عرفنا أنّ هناك أناس في بلادكم يتعبدون بلباس الصوف في الصيف ويتشكّكون في قتال أهل البغي بالسيف" وهو مقتبس من سيرته الى إباضية حضر موت في القرن الثالث هجري، و بها توجس من الصوفية السلبية من طرف الإباضية كون الرضوخ عن أهل البغي وعدم قتالهم باسم الزهد والتصوف أمر منبوذ عندهم، ويذكر الدكتور **عمرو النامي** "أن الإباضية فهموا أنّ الدين وحدة واحدة في نواحيه السياسة والروحية والفقهية يجب تنفيذها في الحياة في وقت واحد وحين يصار الى تعطيل إحدى هذه النواحي في مرحلة معينة من المجتمع الإباضي فليس ذلك عن إهمال، ولكن كعمل مقصود تتطلبه المرحلة الحالية التي يمر فيها المجتمع، تشبها بحياة النبي العملية وهي التي يجب أن تؤدي الى الخطوة التالية في تنفيذ جميع تعاليم الدين في ظروف مناسبة"

ويذكر "بيار لوري" " الفرقة الإباضية لم ينشأ عنها تيار صوفي مما يمكننا من المقارنة وتعميق النقاش".[2]

---

[1] سليمان بن يخلف المزاتي أبو الربيع: **كتاب السِّيَر**، تح: مسعود حاج سعيد، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1993م.

[2] يحي الأطرش، مرجع سابق، ص ص48-49.

لم يكن التصوف كتيار معين عند الإباضية بل كان اهتمامهم كبيرا بعلاج أمراض القلوب والجوارح، وكان علماء الإباضية يضمون في مؤلفاتهم فصلا عن التزكية والسلوك بوصفها مطلب شرعي يلازم مباحث العقيدة والفقه والسير.[1]

لقد كان الخوف من تأثيرات التصوف السلبية لدى الإباضية حاجز بينهم وبين التيارات الصوفية .[2]

المطلب الثاني: مرحلة اللقاء والمحاكاة

يقول يحي الأطرش في هذا الصدد أن يتساءل روبيناتشي: "عن التصوف الإباضي والمؤسسة التصوفية الإباضية موجودة في المشرق أم هي وليدة الشمال الإفريقي أم أنّها ظهرت أثناء تطور النظام الدراسي للحلقة هل ظهرت نتاج تفكيرهم أم نتاج محاكاة مع بعض المؤسسات التصوفية لأهل السنة، وذلك نظرا لتشابه مظاهر الرهبنة التي عند الإباضية بالتي عند الصوفية، من مثل: شيخ الحلقة، الطلبة، المريدون، الانعزال، البعد عن الأهل، تفضيل الاختلاء في غار بعيد عن المدينة، توحيد نوعية الرداء، التخلي عن شعر الرأس، التمسك بنظام أخلاقي صارم، والمتابعة الدقيقة لتفاصيل حياة المنضمين الجدد الى الحلقة لإظهار مدى قدرتهم على الصبر والتحمل وما الى ذلك من عناصر بينها وبين الصوفية".

ونظرا للعلاقات الغير المستقرة مع دويلات السنية في المغرب الأغالبة و الأدارسة وصراعاتهم معهم فيصعب اعتقاد بأن الإباضية استمدوا فكرة التصوف من مؤسسات تصوفية سنية، ولكنه لا يستبعد نظرية التبادل الثقافي بين الاباضية والسنة، خاصة أنّ مؤسس نظام العزابة أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي درس علم النحو واللغة في القيروان.[3]

وبدراسة مواصفة العزابي التي:

أن العزابي هو من يمارس مهنة الاعتكاف ويهجر التطلعات الدنيوية للأفظاظ.

حلق الرأس أي ترك الطريقة التي يعيش بها الناس في العالم.

---

[1] نفسه، ص 49-50.

[2] يحي الأطرش، مرجع سابق، ص 52.

[3] نفسه، ص 53.

ارتداء زي أبيض اللون يتكون من قميص بسيط وعباءة أو لحاف[1].

الحياة الروحية هي شغل العزابي.

على العزّابي عدم مخالطة أهل الدنيا الاّ من طلب منه العلم والبعد عن الأهل والولد والحي أي العيش خلوة.[2]

يتعين عليهم الصّلاة بالجبال ليلا، وعدم ارتداء سوى ألبسة صوفية.

يتوجب عليهم حفظ القرآن عن ظهر قلب وأخد أمكنتهم في الحلقة دون إطلاق أدنى همسة.

وعلى الشيخ أن يتحلى بالذكاء وأن يكون لبقا ومعتدلا.

ومن هذه الأوصاف أن يجب توفر بيئة تتصافى فيها القلوب والأرواح قبل مباشرة العمل الإصلاحي في المجتمع كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه سلم قبل بعثته، فليس الاختلاء في الجبال والصحاري أمرا دائما وشغلا شاغلا بل خطوة تقتضيها مهمة الدعوة والإصلاح.[3]

وإذا وجدنا من الباحثين من يؤكد أنه في وقت لاحق قد التحق الاباضية بحركة التصوف العام، والتي أصبحت موجودة في روحانياتهم، حتى قبلت بشكل عام ومتكامل على قناطر الخيرات للجيطالي لتأثره بأفكار الغزالي التي كانت تهدف الى التقشف والتصوف في كل مجالات الحياة الدينية،[4] وهناك من يبعد صاحب القناطر عن التصوف والمتصوفين كون الجيطالي كان تاجرا ولم يكن منعزلا ولا منزويا في الحياة وإنما ألف كتابه هذا للتلطيف على حد قول أحمد السيابي نقلا عن يحي الأطرش وأن وانصهاره في الفكر التصوفي في كتابه نتيجة انفتاحه على فكر الغزالي وهو الكتاب

---

1 ينظر الملحق 1 ص19.

2 روبيرتو روبيتاتشي: **العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر**، تر: لميس الشجني، مؤسسة تاوالت، المغرب الأقصى، 2006، ص ص24-27.

3 الأطرش، مرجع سابق، ص54-55.

4 روبيرتو روبيناتشي: **العزابة**، منشورات بيت الغشام، عمان، 2014.

المغربي الأول به مسحة صوفية واستفاد كثيرا من كتاب "إحياء علوم الدين"، وهذا الاحتكاك للإباضية بكت الآخر قد منحها الأمان اتجاه علم التصوف ووضعه محلا للنقاش.[1]

تجليات التصوف عند الإباضية:

من أوائل الإباضية الذين تأثروا بالتصوف الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني (550هـ) وكان يميل إلى التصوف ومسالكه في تدريب النفس على طاعة الله حتى تصل الى درجة الشفافية وكشف الغطاء عن القلب وكان معجبا كثيرا بالغزالي ولعل تأثره به يعود الى احتكاكه بالبيئة الأندلسية حين كان طالبا هناك.

وكذا الشيخ اطفيش صاحب كتاب شرح النيل وشفاء العليل قد استشهد في أكثر من موضع بأقوال الامام الغزالي في الفقه والتزكية ووضع جزئين في كتابه السادس عشر والسابع عشر لأمراض القلوب ونوازع النفس وطرق تطهيرها وفيه استشهادات من فكر الغزالي وعرف التصوف والمقامات وأعلام المتصوفة كالجنيد والقشيري والسهروردي .[2]

ولم تكن هناك زوايا طرقية في الفضاء الإباضي وذلك للاحتراز من الوقوع في خوارم التوحيد، والإيغال في الغيبيات، وتقديس العباد وغيرها من المآخذ.

تجليات التصوف في بعض مناسبات الإباضية:

- دعاء السلام بعد الصبح في المسجد ويتلى جماعة وهو عبارة عن آيات معينة تحمل معاني الحفظ والافتقار الى الرزاق الوهاب مع تلاوة لقصار السور وبعض الأدعية.
- ما بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وقبل أذان الفجر تعقد مجالس تلاوة القرآن جماعيا في المسجد
- منجيات القرآن: وهيا آيات مختارة تقرأ التماسا لبركتها ولما فيها من توحيد وتذكير. أوقات قراءتها هي ليلة المولد النبوي عليه السلام وصبيحة يوم العيد وصبيحة يوم الجمعة من كل أسبوع.

---

[1] الأطرش، المرجع السابق، ص56.

[2] الأطرش، مرجع سابق، ص 58-59.

- ختمة رفع البلاء: حين يشتد البلاء أو يتخوف الناس من وقوع أمر عصيب يتم تفريق القرآن أثمانا على المصلين في المساجد ثم تنظم ختمة عامة مرفوقة بتوزيع الصدقات.
- عيد الزيارة في فصل الربيع من كل سنة يجتمع الناس كبارا وصغارا في مكان فسيح خارج البلدة ثم يقصدون الأماكن التي هي مظنة إجابة الدعاء سيرا على الأقدام ذاكرين الله جماعيا ليحفظ الله بلدتهم ويقفون على قبور الصالحين وذوي الكرامات لكي يعرفوا به لسبيل العبرة مع توزيع الصدقات على الحاضرين.
- كذا احياء المولد النبوي الشريف بالذكر.
- مؤتمر لا اله الاّ الله وهو لقاء سنوي للنسوة في فصل الربيع يفتتح ويختتم بترديد لا اله الاّ الله وتلاوة القرآن والمواعظ ويأمر فيه بالمعروف ووكل ما يخص أمور النساء.[1]
- قراءة القرآن كاملا يوم الجمعة في أربعة مجالس (كلّ مجلس يقرأ ربعًا) وتوزيع الصدقات على الحاضرين.

وإذا أخضعنا هذه الممارسات لمعايير الشريعة هي موافقة لروح الإسلام من هذه المعايير:

كل سلوك أو تصرف من قول أو فعل يتوافق مع أصول الإسلام ومبادئه المقررة الثابتة ويسندها أو يعمق من مفاهيمها فكريا أو روحيا أو يثريها فهو إيجابي.

وكذا كل سلوك من قول أو فعل يترتب عليه منفعة لأكبر قدر من الناس في المجتمع فهو ايجابي.[2]

---

[1] الأطرش: **المرجع السابق**، ص64-66..

[2] نفسه ص 66-67.

الخاتمة:

عرفت الإباضية في بداية الأمر تخوف كبير من التصوف بسبب خروج التصوف عن معناه الحقيقي.

تجسدت صفات وافعال الصوفي أو المتصوف عند الإباضي في العزابي الذي كان يحمل نفس صفات المتصوف.

لم يظهر التصوف كعلم أو التصوف الطرقي عند الإباضية، وإنّما تجلى ذلك في ممارسات دورية، حيث اهتمّ الإباضية بالممارسات الروحية أكثر من التنظير.

الملاحق

الملحق 1: **لباس العزّابة** (الذي يرتديه الشيخ بيّوض في الوسط) **ولباس الطلبة** (الذي يرتديه كلّ من الشيخ دبوز على اليمين والشيخ عدّون على اليسار)

مصدر الصورة:

https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%AF%D8%A8%D9%88%D8%B2

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر،1979م.
- إحسان إلهي ظهير: **التصوف المنشأ والمصادر**، ترجمان السنة، باكستان، 1986م.
- الأطرش يحيى: **ملامح التصوف الإباضي المغاربي تأثير " إحياء علوم الدين" على " قناطر الخيرات" لإسماعيل الجيطالي**، دار التنوير، الجزائر، ص2017.
- اطفيّش امحمد بن يوسف: **شرح النيل وشفاء العليل**، المطبعة السلفية ومكتباتها، مصر، 1916م، ج10.
- أوعوشت بكير: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، مكتبة وهبة، ط3، مصر، 1988م.
- بحاز إبراهيم بكير وآخرون: **معجم أعلام الإباضية** من القرن الأول هجري الى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي، مر: محمد صالح ناصر، دار الغرب الاسلامي، ط2، ج2، الجزائر، 2000م.
- بحاز إبراهيم بكير: **الدولة الرستمية 160-296هـ/777م-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، الجزائر، 1985.
- بحّاز إبراهيم وآخرون: **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2008م، ج1.
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، 1974، ج1.
- روبيرتو روبيتاتشي: **العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر**، تر: لميس الشجني، مؤسسة تاوالت، المغرب الأقصى، 2006.

- روبيرتو روبيناتشي: **العزابة**، منشورات بيت الغشام، عمان، 2014.
- سعد رستم: **الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات النشأة التاريخ العقيدة التوزع الجغرافي**، الأوائل، سوريا، 2004.
- عبد الله حسين: **التصوف والمتصوفة**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، 2017.
- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
- ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: **التصوف**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1984م.
- محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، ط2، 1986م.
- المزاتي سليمان بن يخلف أبو الربيع: **كتاب السِّيَر**، تح: مسعود حاج سعيد، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1993م.
-

الفهرس

خطة البحث 2

المقدمة:...3

مدخل:...5

أولا: مفهوم التصوف:...5

ثانيا: مفهوم الإباضية نشأتها ومبادئها 6

ثانيا: مبادئ الاباضية (الأصول).....................................7

الاباضية في بلاد المغرب 8

أولا: سلمة بن سعد (أو سعيد) 8

ثانيا: أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الخباواني: 8

ثالثا: عمر بن يمكتن النفوسي 9

الفصل الأول: مدلول التصوف عند علماء الإباضية......................10

المبحث الأول: مدلول التصوف عند أبي العباس الفرسطائي 10

أبو العباس الفرسطائي:..10

المبحث الثاني: القطب امحمد اطفيش 11

قطب الأئمة الشيخ اطفيش:...11

المبحث الثالث: أبو طاهر إسماعيل الجيطالي..........................12

اسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ):.....................................12

الفصل الثاني: مراحل التصوف عند الإباضية 13

مرحلة الرفض والتحفظ: 13

المطلب الثاني: مرحلة اللقاء والمحاكاة 14

تجليات التصوف عند الإباضية: 16

الخاتمة: 18

الملاحق.. 19

قائمة المصادر والمراجع: 20

الفهرس 22